الباب الثامن

حرية المرأة
بين النظرية و التطبيق

الباب الثامن
حرية المرأة بين النظرية والتطبيق

عند الحديث عن حرية المرأة ، يجرفنا الفكر إلى أول من نادى بهذا القول ، وهو الأستاذ المفكر (قاسم أمين) ، فقد انصبت جميع أعماله تقريبًا على المرأة ، وذلك لما بهره من طريقها فى التعامل ، حينما سافر إلى فرنسا ، ولكن هل حاولت المرأة أن تتحرى الدقة فيما نادى به (قاسم أمين) ؟ هل حاولت أن تتلافى الأخطاء التى وقعت فيها عندما حاولت التطبيق ؟ سيدتى : لن أحاول أن أرهق فكرك فى البحث فى أمور قد أصبحت واقعًا مسلمًا به ، ولكن سيدتى اسمحى لى أن ألقى الضوء على الدوافع والأسباب التى جعلت المرأة تدور فى حلقة مفرغة ، لأنها تناست أن الله العلى القدير ، قد خلق كل شىء بحساب .

حين العودة إلى الماضى ، ومحاولة فهم مقولات الأستاذ (قاسم أمين) بشكل تراعين فيه تجنب السلبيات والأخطاء التى وقع فيها المجتمع ، حين التعرض لمقالاته ومؤلفاته .

وإذا كنا بصدد الحديث عن المرأة وعن قضاياها ، وأولينا قضية عملها خارج المنزل عناية هذا الكتاب ، وإذا كنا فى معرض الحديث عن السلبيات التى وقعت فيها المرأة ، لابد من الخوض فى الحديث عن وجهة نظر المفكر الأستاذ (قاسم أمين) ، ولا أقول وجهة نظره ، وإنما أقول إنه الداعى الأول

« بحماس » لخروج المرأة ، والعمل جاهدة بجانب الرجل ، والمساواة ، والتحرر ، والتجدد وغير ذلك ، ولسنا هنا فى منأى عن تلك القضايا ، ولكنى أصارحكم القول إننى أخشى الحديث لمهاجمة هذا المفكر العظيم ، ولكننى أترك واقعنا الفعلى لمعالجة ذلك الأمر ، ولكنى أحاول أن أمنطق هذا الفكر بما يناسب متطلبات عصرنا الحاضر ، لنجد طرقًا لترميم ثغرات نتائج ذلك الفكر ، ولكى نصل إلى مفاهيم أكثر نضجًا لاستيعاب ذلك الفكر ، لا بد أن نعرض لبعض فقرات من كتاب (قاسم أمين) أو حتى لحجر الأساس فى هذا الفكر ، لأنه من الصعب طبعًا دحض هذا الفكر كلية ، لأنه أصبح واقعًا فعليًا ، صعب الارتداد عنه .

فقد تحدث المفكر العظيم (قاسم أمين) عن « حرية المرأة » بقوله فى إحدى فقرات كتابه (تحرير المرأة) [هناك تلازم بين الحالة السياسية والحالة العائلية .. فشكل الحكومة يؤثر فى الآداب المنزلية ، والآداب المنزلية تؤثر فى الهيئة الاجتماعية .. ففى الشرق نجد المرأة فى رق الرجل ، والرجل فى رق الحكومة .. وحينما تتمتع النساء بحريتهن الشخصية يتمتع الرجال بحريتهم السياسية ، فالحالتان مرتبطتان ارتباطًا كليًا ، وافتقار المرأة المسلمة إلى الاستقلال ، بكسب ضروريات الحياة ، هو السبب الذى جرّ ضياع حقوقها ، فلقد استأثر الرجل بكل حق ، ونظر إليها نظرته إلى حيوان

لطيف ، يكفيه لوازمه كي يتسلى به] . أخذت هذه الفقرة لكي نفندها معا ، ولنعيد فهمها فهمًا جديدًا أو جيدًا ، حسب ما تراءى لنا في هذا العصر ؛ لأن هذه الفقرة من ضمن الفقرات التي تحمل عصارة فكره في مجال المرأة ، وبالذات دعوتها للخروج والعمل .

سيدتي : أوضحت العبارة أن هناك تلازمًا بين حالة الرجل والحالة السياسية في البلاد ، وبين حالة المرأة والظلم الذي تعانيه ، والقسوة من جراء تحكم الرجل في المنزل ، وأنا من وجهة نظري أنه فعلًا من الناحية النفسية ، أن هذا القول يعتبر صحيحًا ، لأن من يعاني ضغوطًا عصبية خارج المنزل ، فهو يحاول أن يخرج ما في جعبته لمن هم في حوزة سلطته ، لذلك نجد أن الرجل الذي يعاني الاضطهاد والظلم والقهر ، يحاول أن يفرض سيطرته وبأقسى قوة ، فإذا سلمنا بوجهة النظر هذه ، فهل توجد ضغوط نفسية في عصرنا الحاضر ؟ أعتقد أن هذه الضغوط قد خفت حدتها كثيرًا ، بتوافر مبدأ تكافؤ الفرص ، ومن جد وجد ، وأن فرص العيش الكريم أصبحت أكثر توافرا ، لذلك فلم تعد هناك تلك الضغوط النفسية ، التي قد يجدها الرجل خارج المنزل ، اللهم إلا الجهد العادي الذي يعطى للرجل منطلقًا للاستفادة من طاقاته ، ومن ثم أعتقد عزيزتي حواء أن قهر المرأة والقسوة التي كانت تعانيها ، قد تبدل حال من بعد حال ، فلم يصبح هناك إلا التفاهم والمشاركة الوجدانية ، وروح التوافق بين الجنسين .

وأعتقد أن الأستاذ (قاسم أمين) لم يجانبه الصواب في الجزء الثانى من العبارة الأولى [ففى الشرق نجد أن المرأة فى رق الرجل ، والرجل فى رق الحكومة .. وحيثما تتمتع النساء بحريتهن الشخصية ، يتمتع الرجال بحريتهم السياسية ، فالحالتان مرتبطتان ارتباطًا كليًا] . كيف يكون الحال عندما يقلب المثلث بهذا الشكل ، فالرجل فى رق الحكومة ، والمرأة فى رق الرجل ، كيف تتمتع النساء بحريتهنّ ، فيتمتع الرجال بحريتهم عند الحكومة ، ولا يصبح للحكومة سلطان عليهم .

وأعتقد أن صحيح العبارة : أن الرجل عندما يتحرر من رق الحكومة ، تتحرر المرأة من رقه ؛ لأنه سوف يعطى المرأة حقوقها من ضمن الحقوق التى يحصل هو عليها ، وليس العكس . فالحالتان مرتبطتان ، ولكن ليس بالصورة التى عبر عنها الأستاذ المفكر (قاسم أمين) .

أما نهاية العبارة التى سبقت من قبل ، وهى التى تحث المرأة على العمل ، وجلب الرزق لنفسها ، لتتحرر من رق الرجل ، أو لتكون بمنأى عن مضايقاته ، أو ليكون لها كرامة ، كما يفهم من العبارة [وافتقار المرأة المسلمة إلى الاستقلال بكسب ضروريات حياتها ، هو السبب الذى جر ضياع حقوقها . فلقد استأثر الرجل بكل حق ، ونظر إليها نظرته إلى حيوان لطيف ، يكفيه لوازمه كى يتسلى به] .

وإذا وفقنا الله لفهم هذه العبارة ، فما رأيك فى الدخل الذى تحصلين عليه من جراء عملك ؟ ألم يصبح عمادًا أساسيًا فى

دخل الأسرة ؟ ألا يعتمد عليه الرجل فى وجوده ؟ أيمنع هذا الدخل حدوث مشكلات بين المرأة والرجل ؟ أيحُدّ هذا الدخل من سلطة الرجل عليك ؟ أتحسين بأنوثتك ، حتى إذا استطعت أن تفرضى عليه سطوتك بسبب هذا الدخل ؟ ومن لغو العبارة أنه شبه الأنثى ، بأنها حيوان أليف ، يمكن للرجل أن يعطيه لوازمه حتى يتسنى أن يتسلى به . فما بالك أنك نفس الحيوان اللطيف ، وتتحملين أنت أيضًا أن تحضرى لوازمك ، كى يتسلى بك الرجل ، أعتقد أنه من الكرامة أن يحضر الرجل هذه اللوازم ، حتى تخففى من أعبائك ، حتى يكون وجودك مشوبًا بالحب الحقيقى ، والاحترام لمعنى وجودك فى الحياة .

وقبل أن نخوض فى الرد على الأستاذ المفكر (قاسم أمين) نجد أنه فعلًا كانت هناك السيادة والغلبة للرجل ، وأن المرأة كانت ـ وخاصة فى العصور المملوكية والعثمانية ـ مخلوقًا محقّرًا ، ليس له شأن على الإطلاق ، وقد قاربت المرأة أن تكون مكروهة الوجود إلى حد كبير ، لذلك كانت صيحة (قاسم أمين) لها رنينها ، وكان رد الفعل أعنف مما كان المرء يتصور ، وتضخم تنين السلبيات ، حتى أحاط جميع المنجزات واعتصرها تمامًا .

ومن المسلم به أن المرأة كانت تعانى القهر والظلم ، وأن هناك الكثير من العوامل المتشابكة ، التى تردت بالمرأة إلى ذلك الوضع المشين ، ولكنى أعتقد أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، لم تكن هى تلك العوامل التى تساعد

على تحرير المرأة ، وإنما أجد أن محور ذلك تعليم المرأة وتثقيفها ، وإثقال فكرها بالتربية الدينية والخلقية ، والمعلومات العامة العلمية منها والأدبية ، وتوجيه ذلك لمنفعة زوجها وبيتها .

وجد (قاسم أمين) أنه من أسباب الوضع المتخلف ، الذى كانت عليه النساء فى مجتمعه الذى عاش فيه ، افتقارها إلى ، الاستقلال الاقتصادى ، وبعدها عن ميادين العمل المنتج فى المجتمع ، جعلها تابعة وخاضعة لمن يسد رمقها ، ويضمن لها مقومات الحياة وضرورياتها ، ومن عباراته فى هذا المجال [لو تبصر المسلمون لعلموا أن إعفاء المرأة من أول واجب عليها ، وهو التأهل لكسب ضروريات الحياة بنفسها ، هو السبب الذى جرّ عليها ضياع حقوقها ، فإن الرجل لما كان مسئولًا عن كل شىء ، استأثر بالحق فى التمتع بكل شىء] . وبعد التجربة العملية التى عاشتها المرأة ، وحاولت أن تكسب ضروريات الحياة بنفسها ، قد أصبحت تابعًا لهذا الكسب ووجدت حيث كان العمل والكسب ، فأصبح قوتها اليومى يتحكم فيها ، وأصبح العمل يتحكم فيها ، كما أصبح الرجل لا يعفيها من ذلك التحكم ، فلم تزدد الأمور إلا تعقيدًا ، وتستطيع أن تترجم العبارة إلى مفهوم آخر ، فحتى إن كانت المرأة قد ضاعت حقوقها على يد الرجل ، فقد تضيع المرأة بأكملها على يد الرجل ، حينما تكون مرءوسة له ، فلا يخفى على أحد أنها قد تصبح تحت سيطرة التمتع بكل وقتها ،

مما يجر عليها الكثير من المتاعب ، وبالواقع الفعلى نجد أن دعوى الخروج من بوتقة التخلف ، لم تكن إلا ارتدادًا إليها ولكن بشكل آخر ، فلم تكن المرأة سببًا للحاق بركب الحضارة ، وإنما نحن نقف عند حدود الدول النامية منذ بداية هذا القرن . فلم يزدنا عمل المرأة تقدمًا ، ولم يزدها تقدمًا ، ولم يحررها من سيطرة الرجل ، ولم يرحمها من ازدحام قاعات القضاء ، ولم يعفها من مسئولياتها المنزلية .

وإذا كنا بصدد أن المرأة نصف المجتمع ، وأن نصف المجتمع معطل ، وهو طاقة غير منتجة ، كيف تكون المرأة غير منتجة ، وهى قائمة بأعمال الرجل بالمنزل والأبناء ، بل الأسرة بأكملها ؟ ما معيار تعطيل نصف المجتمع ؟ هل من الضرورى أن يعمل نصفا المجتمع خارج منازلهم ، أو يقومون بأداء نوعية واحدة من الأعمال ؟ كيف يكون ذلك ؟ إن أنشطة الحياة مختلفة ، وبالتالى تختلف الكفاءات فى أدائها ، لذلك فليس من المعقول أن تقوم جميع فئات المجتمع بمختلف أجناسه بأداء عمل واحد ، فلابد من الإعداد ، وهى مهمة المرأة ، والقيام بالعمل نفسه ، وهى مهمة الرجل ، فيخرج كل شىء إلينا كاملًا منكاملًا إلى حد كبير ، وعلينا أن نعى أن الحقائق التى دعت (قاسم أمين) إلى المناداة بتلك الصيحات ، ودعته إلى أن ينحو بفكره إلى تلك الحلول ، فعلًا كانت حقائق مريرة ، لدرجة أن المجتمع كان يعيش بداخله مجتمع آخر فى عزلة

عنه ، مجتمع الرجال ، ومجتمع النساء ، الذى لم يكن يعى مما يدور حوله إلا أقل القليل . وإذا كان (قاسم أمين) قد اتخذ من المرأة مدخلًا لعلاج معظم مشاكل المجتمع السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية ، فإن تقييمه للأسباب الجوهرية التى أدت بالمرأة إلى ذلك الوضع المتخلف ، أعتقد أنه لم يحالفه الحظ فى تقييمها ، ووضع الحلول المناسبة لها ، وذلك لما قد نلاحظه من تناقض فى وجهات نظره ، لأن منطقه الفكرى كان يخضع لمراحل النضج والإثقال ، الذى يعيشه كل إنسان طبيعى ، وكانت حواء حقل التجارب الذى انصب فيه ذلك الفكر المتدرج فى النضج ، حتى أصبحت هى قاب قوسين أو أدنى ، وذلك دون وعى منها .

عزيزتى حواء : إننى لا أوعز أن كل قضايا التخلف التى كانت تعيشها المرأة ، بل كل قضايا المجتمع السلبية ، أرجعها إلى عدم الاهتمام بتعليم المرأة ، ذلك فىْ الزمن الماضى ، أو فى القرن الذى تحدث فيه (قاسم أمين) ونادى بتحريرها ، واستقلالها الاقتصادى ، وقد تحدث الأستاذ (قاسم أمين) فى قضايا تعليم المرأة ، ولكنه كان متضارب الأقوال ، فتارة ينادى بالاكتفاء بتعليمها حتى المرحلة الابتدائية ، مثل البنين ، ثم الوقوف عند ذلك الحد ، وتارة أخرى يطالب بتعليمها حتى تكون قادرة على الإجابة عن أسئلة الطفل ، وتارة أخرى يهاجم السيدات اللائى نهلن من العلم الكثير ، بحجة أن السيدة عندما تعرف كل شىء ، قد تختفى حمرة الحياء من وجنتيها عند

سؤالها أو ملامستها ، وقد عبر عن ذلك بتلك العبارة التى ماكنت أود أن أدرجها ، ولكننى آثرت أن أستشهد بها [هل السيدات المؤلفات والسياسيات ـ ولست أتحدث إلا عمن اتخذن حرفة الأدب وتجارته ـ هل هنّ حقيقة نساء ؟ وماهى أوجه الشبه بين هذه الكائنات اللاتى رأين كل شىء ، وقرأن كل شىء ، وفعلن كل شىء ، واللاتى لم تعد وجوههنّ تحمرّ ، وبين تلك الملائكة اللاتى مايكدن يرسلن نظرة ، أو لفظة ، أو لمسة كف ، حتى تبتل عيوننا بالدمع ، وتفعم قلوبنا بالنشوة ؟!] بالله عليك سيدتى هل هذه حلول لقضايا المرأة والمجتمع والسياسة ، هل هذا مخرج للمرأة من سجنها ، أم هى قيود تدمى الأيادى والعقول ؟.

هل هذه دعوى للتفتح ، أم دعوى للانغلاق الفكرى ووأد التحضر ، ومقبرة للعلم ومساندة الرجل فى تربية الأطفال ؟ ولست هنا فى معرض لانتقاد الأستاذ (قاسم أمين) ، ولكننى أعود فأكرر : أنه كان من الأوقع أن يركز على أهمية التعليم بالنسبة للمرأة ، ففيه الصلاح والفلاح بالنسبة للمجتمع ككل على مستوى أجيال أخرى قادمة ، وليس بالضرورة العلم من أجل العمل ، فعلينا أن نفصل بين قضية التعليم ، وقضية الاستقلال الاقتصادى للمرأة ، فالمطالبة بتعليم البنت وسبل تعليمها والأوجه التى يجب أن نوليها العناية بالنسبة لتعليم الفتاة ، أعتقد أنها الركيزة الأساسية التى تحطم بها المرأة

قيودها ، فتكون بذلك عضوًا أكثر نفعًا على مستوى الأسرة ، وبالتالى على مستوى المجتمع ، فيصبح فعلًا نصف المجتمع منتجًا ، ولكن دون ازدحام ، ودون أن تكون المرأة مسببة للبطالة ، والبطالة المقنّعة ، ودون أن تنمحى مظاهر أنوثة المرأة التى تحدث عنها مفكرنا (قاسم أمين) الذى حاولت أن تحتذى به حذو أفكاره عزيزتى حواء .

وعلينا كى نواجه ذلك الخلط الذى وقع فيه (قاسم أمين) بين قضية تعليم المرأة ، والعمل خارج المنزل ، والكسب المادى أو الاستقلال الاقتصادى ، كما يقول ، علينا أن ندرج بعض فقرات من كتبه تمثل مراحل نموه الفكرى ، كما تمثل التضارب فى أقواله ، علاوة على أنها تربطه ربطًا لامعنى له بين العلم والعمل .

فمثلًا فى المرحلة الأولى أورد الفقرة سالفة الذكر التى قمنا بالرد عليها ، أما فى المرحلة الثانية ، وهى مرحلة كتاب تحرير المرأة ، الذى أدرج ضمن أعماله الأدبية سنة ١٨٩٩ م .

[إن الناظر فى الأحوال التى فضلت فيها شريعتنا الرجل على المرأة ، مثل الخلافة ، والإمامة ، والشهادة فى بعض الأحوال ، لايجد واحدة منها تتعلق بعيشتها الخصوصية وحريتها ، وإن الشارع لم يراع فى هذه المسائل القليلة إلا عدم الخروج بالمرأة عن وظيفتها العائلية ، وحصر الوظائف

العمومية فى الرجال ، وهو تقسيم طبيعى جرى على مقتضاه ، إلى الآن ، التمدن فى أوربا ، ولايوجد شىء يمنع بزقية المرأة والوصول بها إلى أعلى مرتبة تستحقها ، ومامن عقل يدرك الغرض الصحيح من تلك الحقوق العظيمة التى خولتها الشريعة الإسلامية إلى المرأة فى جميع الأعمال المدنية ، ومنها أهليتها لأن تكون وصيتها على رجل ـ يستحسن ما يخالفها من عوائدنا التى تؤدى إلى حرمان المرأة بالفعل من استعمال الحقوق] .

فى هذه الفقرة يرى الأستاذ (قاسم أمين) أن المرأة طاقة معطلة ، ويمكن استثمار تلك الطاقة فى الأعمال العمومية ، حتى يمكنها أن تنسيد الرجال ، فى نفس الموقع ، نفى ذلك بحجة أن المرأة غير مستعدة لذلك فى ذلك الوقت ، ولكن ماذا عن الارتقاء بوظيفتها العائلية ؟ لم يحدثنا فى ذلك الأستاذ (قاسم أمين) .

ولقد وصل الأستاذ (قاسم أمين) إلى أن الجهل كان أحد المعاول التى هدمت حقوق المرأة ، ولكنه لم يضع السبل التى تُقيم من أود تلك الحقوق ، اللهم إلا الخروج والعمل حتى لاتكون عالة على ثمرة عمل الرجل ، [فلأن النساء فى كل بلد يقدرن بنصف سكانه على الأقل ، فبقاؤهن فى الجهل حرمان من الانتفاع بأعمال نصف عدد الأمة ، وفيه من الضرر الجسيم مالا يخفى ، ولا شىء يمنع المرأة المصرية من أن تشتغل مثل الغربية ، بالعلوم والآداب والفنون الجميلة

والتجارة والصناعة ، إلا جهلها وإهمال تربيتها . ولو أخذ بيدها إلى مجتمع الأحياء ، ووجهت عزيمتها إلى مجارا نهم فى الأعمال الحيوية ، واستعملت مداركها وقواها العقلية والجسمية ، لصارت نفسًا حية فعالة ، تنتج بقدر ما تستهلك ، لا كما هى اليوم ، على ألا تعيش إلا بعمل غيرها ، ولكان ذلك خيرا لوطنها لما ينتج عنه من ازدياد الثروة العامة ، والثمرات العقلية فيه] .

أعتقد أنه لاتعقيب على تلك الفقرة أكثر من تلك المحنة التى تعيشها حواء من جراء اعتمادها على نفسها فى كسب العيش ، ومخالفة قانون الطبيعة ، واعتراضها على ماقسم الله لها ، محاولة انتهاج نهج المرأة الغربية ، محاولة عدم توظيف إمكانياتها للارتقاء بمستوى أسرتها ، وتوجيه جميع طاقاتها ، حتى العلمية منها ، للاعتماد على نفسها فى سبل العيش ، والقوت اليومى ، وتركت مهامها نحو غيرها ، وهلم جرًا .

سيدتى : فى استعراض تأرجح الأفكار ، وتداعى المعانى ، وفى المرحلة الثالثة من حياة المفكر الأستاذ (قاسم أمين) أى مرحلة كتاب « المرأة الجديدة » لم يحاول (قاسم أمين) أن يتحرى الدقة فى توجيه المرأة لسبل الارتقاء بها ، سوى التركيز على قضية الاشتغال وكسب العيش ، منافسة فى ذلك الرجل ، مع عدم التخفيف من حدة التناقض الفكرى ، فى ذكر الفروق القائمة بين الرجل والمرأة ، فبعد تركيزه فى بعض

الفقرات فى كتاب « تحرير المرأة » وكتاب « المصريين » على الفروق النظرية بين الرجل والمرأة ، وأبدية الاحتفاظ بها ، إلا أنه قد تناقضت أفكاره فى ذلك الكتاب الجديد « المرأة الجديدة » وحاول أن يلغى تلك الفروق ، وجعلها متساوية بالرجل ، إلا أنها تحتاج إلى بعض المران ، واكتساب المؤهلات ، فما مدعاة تمسكنا بذلك الفكر المتناقض بحجة أن ذلك تطور طبيعى لنظريته فى الإصلاح الاجتماعى والسياسى ، متخذًا المرأة مدخله إلى ذلك ؟ أما مقولته فى هذا المجال فهى كما جاءت فى كتابه « المرأة الجديدة » :

[إننى ما طلبت ولا أطلب المساواة بين المرأة والرجل فى شىء من المزايا والحقوق السياسية ، لا لأنى أعتقد أن الحجْر على المرأة أن تتناول الأشغال العمومية ، حجرًا عامًا مؤبدًا ، هو مبدأ لازم للنظام الاجتماعى ، بل لأنى أرى أننا ما نزال إلى الآن فى احتياج كبير إلى رجال يحسنون القيام بالأعمال العمومية ، وأن المرأة المصرية ليست مستعدة اليوم بشىء مطلقًا ، ويلزمها أن تقضى أعوامًا فى تربية عقلها بالعلم والتجارب ، حتى تتهيأ إلى مسابقة الرجال فى ميدان الحياة العمومية] .

نلاحظ من تلك الفقرة أن (قاسم أمين) بدلًا من أن يولى عنايته للرجل ، حتى يهتم بتحسين مهمته فى القيام بالأعمال العمومية ، ومناصة السياسة ، وجه نظره شطر المرأة ،

وقادها إلى ما فيه رخصها ، وإذا كان (قاسم أمين) داعية ، أو مصلحًا اجتماعيًا ، أو صاحب نظرية ، ابتدع فيها كسب المرأة لعيشها مدعاة لكرامتها ، فقد جاء فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ إذن لقد فرض على الرجل النفقة ، ولذلك كانت له القوامة ، فحاولت أنت سيدتى أن تتولى أنت الإنفاق لتكون لك القوامة ، أتريدين بذلك أن تهدمى النظام الإلهى فى الحياة بمختلف عناصرها ، هذا النظام الذى وضع لتيسير السبل على مخلوقاته فى الجنسين ؟

هيهات ، أن تكونى على صواب عزيزتى ، فعند إمعان النظر فى خلق الله ، تجدين أن كل شىء خلق بنظام وحساب دون ثغرات ، فلماذا تتعمدين الإخلال بذلك النظام !؟

سيدتى : لن يسرى بنجاح إلا قانون الله ، ولن يأتى أى مصلح اجتماعى ، أو أى مدرسة فكرية بثمار ، إلا إذا حافظت على القواعد الأساسية لحكمة الله فى خلقه ، فاطرحى جانبًا تلك الأفكار ، وعودى إلى منزلك راضية ظافرة بالنتائج التى تحققينها داخل منزلك ، فكم من مدارس ونظريات ماتت تحت أرجل أصحابها ، لتحديها قانون الطبيعة ، مثل الشيوعية ، فقد تخطت وتجاوزت حدود الأديان ، فما كان من مصيرها سوى الهدم على أيدى معتنقيها ، بعد أن التف حبل تأخرها حول رقابهم .

فمعذرة أستاذى الفاضل المفكر (قاسم أمين) ، فقد ناديت بتحرّر المرأة ، فعلًا كان يجب أن تحرر المرأة ولكن مِمَّ ؟ من جهلها ، من عبوديتها ، من طريقة تناولها للقضايا بشكل سلبى ، كأن تكون خادمة لطفلها أو زوجها لا أكثر ، دون أن تكون عاملًا إيجابيًا فى تنمية الفكر والعقل ، فقد اقتصر دور الأمّ فى عصرك ، على كونها آلة ، تعمل بشكل أتوماتيكى فى مختلف مناحى الحياة ، دون إصفاء أى لمسات من الذوق أو التغيير ، حتى إعداد الطعام يكون بشكل مكرر ، قد يكون طهوه بعيدًا عن الإدراك فى التوازن ، من ناحية المكونات للعناصر الغذائية ، قد تكون الرعاية شكلية فقط دون أن تلمس المضمون ، والتعامل مع العقل والفكر والوجدان ، لذلك كان على المرأة أن تحرر ، بأن يكون لها مشاركة فى الفكر ، أن يكون لها حرية التعلم ومناقشة الأمور ، نعم تحرر المرأة من قيود الجهل والقهر والتخلف ، فقد كانت المرأة فعلًا منهكة ، قد أدمى وجدانها وفكرها قيود السجن الذى عاشت فيه ، فأخطأت فهم معنى التحرر ، وكأن بغيتها مجرد الخروج من المنزل ، بحجة إثبات الوجود ، والتبرج فى الملبس والزينة ، فقد اعتبرت جنتها سجنًا لها ، وقلعتها قضبانًا ، فحرصت على كسرها فهوت إلى العراء ولا مغيث .

وإننى حين أطالب بعودة المرأة للمنزل ، لا أطالب بعودتها

إلى عصور الرق والظلم والسلبية ، ولكن أحبذ عودتها الإنسانة المتفقة المتعلمة الإيجابية المنتجة بإيجابياتها ، فهى حين تشارك زوجها أفراحه وآلامه ومشروعاته ، فهى عضو منتج ، وحين تسهم فى بناء شاب متزن خلقيًا ودينيًا واجتماعيًا ، فهى قد أسهمت فى بناء أمة جل شأنها ، لذلك عزيزتى حواء لايمكن أن تعود عقارب الساعة إلى الوراء ، فمنجزاتك موجودة ، فحافظى عليها ، ولكن بلا سلبيات ، وأنا أقترح تصحيح خطة التعليم ، تصحيحًا لمسار معتنقى أفكار الأستاذ (قاسم أمين) حتى تواكب تقدم العصر ، مع الحفاظ على السمة الدينية والشرقية ، التى ميز بها الله المرأة فى بلادنا .

☆ ☆ ☆